



مقدمة:

ما أرى شريعة دعت إلى الإنصاف ولا شريعة حذرت من الإجحاف والعصبية من شريعة تقول: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: 2)

إنَّ الإنصاف خلق رفيع وأدب سام يدلُّ على كرم النفس وصفاء السيرة والبعد عن الأثرة، وبالإنصاف يقوى الفهم، ويتسع الأفق، ويعلو القدر، ويسود الود، وأعلى ما في ذلك كله: حصول رضا الله - جلَّ وعلا-، قال تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: 90)،

وقال عز وجل : (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الحجرات: 9)

وقال تبارك وتعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: 8)

أخرج ابن الجوزي عن عمر بن سعيد عن أمه قالت: "قدم ابن عمر مكة، فسأله، فقال: "أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن رباح - يعني عطاءً-؟!"

فابن عمر- رضي الله عنه- كان صاحبياً وعطاء -رحمه الله- كان تابعياً، ومع ذلك لم يجد ابن عمر غضاضة أو حرجاً من إنصاف عطاء.

عناصر الخطبة:

1- معنى الانصاف وما يُعين عليه.

2- روعة القرآن في بيان دقة الإنصاف:

- الإنصاف مع الكفار .
- بين المشركين والعصاة من المؤمنين.
- حرمة التعميم في الذم.
- العدل مع الحيوانات.
- الإنصاف مع المعاهدين والذميين.
- بين البغض والإنصاف.

3- الغلو يحرم صاحبه الإنصاف.

4- مبادئ تعين على الإنصاف :

- الانتباه إلى المقاصد

- التحقق بالتثبت

- حمل الكلام على أحسن الوجوه

- عدم نشر سيئات الإنسان و تجاهل حسناته

1- معنى الانصاف وما يعين عليه

الإنصاف لغة: مأخوذ من (النَّصَف). وأصل استعماله من الشيء يكون مشتركا على التساوي بين اثنين، فمن أخذ نصفه بلا زيادة فقد أنصف، ومن أعطى شريكه نصفه بلا نقصان فقد أنصف. ومن حَكَمَ أو قَسَمَ بين شريكين فأعطى كل واحد نصفه بلا زيادة ولا نقصان فقد أنصف. ثم اتسع استعمال اللفظ ومشتقاته، للدلالة على السوية بين الناس فيما لهم وما عليهم، سواء كان النصفَ أو غيره مما هو مستحق، وسواء كان ذلك في الأشياء، أو في الأفعال، أو في الأقوال.

تواضع الإنسان في نظرته إلى نفسه وعلمه وآرائه، هو الذي يُمكنه أن يكون متواضعا في نظرته إلى غيره. ومن هنا يأتي إنصافه لهم، فالتواضع يكون أساسا مع النفس ومع الذات، والإنصاف يكون مع الغير وخاصة مع المخالفين. ولا يكون إنصاف للمخالف، بدون تواضع ذاتي، فالمتكبر والمكابر في نفسه، لا يُنتظر منه إنصاف لغيره.

2- روعة القرآن في بيان دقة الإنصاف

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ) (النساء: 135) وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). (المائدة: 8)

أ- الإنصاف مع الكفار:

دعانا سبحانه في كتابه وعلمنا الإنصاف حتى مع الكفار، فقال تعالى مفرقا بين أصناف أهل الكتاب: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائما)(آل عمران 75) فتأمل كيف فصل ولم ينسب هذا الخلق السيئ إليهم جميعاً، مع أن عند جميعهم ما هو أسوأ منه .

وقال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (العنكبوت :46) ففرق تعالى بين الذين ظلموا وبين غيرهم. وبين لنا أن منهم من يجادل بالتي هي أحسن، ومنهم من يجادل بالتي هي أقوم، وبين تأخير اللام وتقديمها - لمن يستحق ذلك - عدل عظيم وإنصاف مبين.

وفي سورة الممتحنة فرق سبحانه بين من قاتلونا في الدين وأخرجونا من ديارنا و ظاهرنا على إخراجنا، وبين من لم يفعل ذلك من الكفار، فقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *) (الممتحنة: 8-9)

ولذلك فرق رسولنا صلى الله عليه وسلم في معاملاته وسيرته وطريقته وهديه مع من حارب الله ورسوله وأذى المؤمنين كعقبة بن أبي معيط وأمثاله، وبين من أجاره ونصره وسعى في نقض صحيفة الحصار التي أبرمتها قريش كالمطعم بن عدي و أبو البختری، حتى قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: (لو كان مطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له) .. أي شكر هذا وأي إنصاف في الحديث حتى عن مشرك وثني كان قد أعانه وأجاره في وقت من الأوقات، فكافأه صلى الله عليه وسلم بهذا الموقف حتى بعد وفاته، وقال فيه هذه المقالة؟!!

هذا الإنصاف الذي هو مزية الأشراف .. فمن باب أولى إن كان الحديث عن مسلمين لهم حق من الموالاة لا يخرجون منها ما داموا داخل دائرة الإسلام.

ب - بين المشركين والعصاة من المؤمنين:

إنه في مقابل ما طلبه الله منا من براءة كاملة من الشرك وأهله كما في قوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (المتحنة: 4)

فإنه سبحانه أمرنا بالإنصاف مع العصاة من أهل الملة فقال في شأن المؤمنين: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (الشعراء: 215-216)

فتأمل الفرق بين البراءة الكاملة من المشركين والبراءة الجزئية من المؤمنين والتمثلة بالبراءة من معاصيهم فقط ، دون البراءة منهم أنفسهم.

هذا الفرقان يمثل العدل والميزان والإنصاف، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصى أحد أصحابه لا يتجاوز في عقوبته الحد الذي حده الله لأمثاله، ويشهد حتى للعصاة منهم بالحق الذي يستحقونه، فلا تُضَيِّعُ معصيتهم - ولو كانت من الكبائر - حقوقهم ولا تخرجهم من دائرة الموالاة الإيمانية، فلما رجم الغامدية في الزنا ورماها خالد بن الوليد بحجر في رأسها فنضح دمه على وجهه فسبها، قال له صلى الله عليه وسلم: (مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له) (مسلم: 1695) ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت.

وفي روايه لمسلم أيضا أن عمر قال للنبي صل الله عليه وسلم: (أ ي صلى عليها) فقال: (لقد تابت توبة لو قُسمت بين أهل المدينة لوسعتهم) . وفي رواية (هل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله) (مسلم: 1696) .

الله أكبر .. ما أجمله وأكمّله من عدل وإنصاف! خطيئتها شيء وحققها وإنصافها شيء لا يضيع رغم خطيئتها، إن هذا هو العدل الذي أمرنا الله تعالى به في كتابه: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعام: 152)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: (أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُقَبُّ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ ائْتِنَا مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (البخاري: 6780)

ج - حرمة التعميم في الذم:

سبحانه ما أعدل حتى مع من حارب دينه وآذى نبيه وصد عن سبيله، قال: (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ () وَيَسْتَأْذِنُ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ)، (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذِنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي)، (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ () وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ)، (وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وهكذا، ومنهم.. ومنهم..

وكذلك فصل في الأعراب فقال: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) (التوبة: 98) ، وقال: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرُّسُولِ) (التوبة: 99)،

ففرّق وعدلَ وميَّزَ، وهو أهل العدل والتقوى والمغفرة، وهذا كله ليعلمنا العدل والإنصاف والتمييز والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

د - العدل مع الحيوانات:

في غزوة الحديبية، لما أبت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم أن تسير، وقال الصحابه: خَلَّاتِ القِصَوَاءِ، (يعني حرنت وبركت وأبت أن تسير من غير علة) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مدافعاً عن دابته: (والله ما خلَّأتِ القِصَوَاءِ، وما ذاك لها بخلق

فتأمل كيف يعدل النبي صلى الله عليه وسلم في الكلام والقول حتى مع البهيمة العجماء.

هـ - الإنصاف مع المعاهدين والذميين:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَتْبَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آبَائِهِمْ دَنِيَّةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

([أبو داود/3052 وصححه الألباني]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يُرَحُّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) [الترمذي/1403 وصححه الألباني]

ولما فتح الفرنجة القدس ذبحوا سبعين ألفاً في ليلتين، فلما فتح صلاح الدين القدس جاءته امرأة من أهل القدس فقدت ابنها، فوقف و لم يجلس حتى أعادوا له ابنها، هذا هو العدل، و أنت كمسلم مقيد بالعدل، لا تقلد الطرف الآخر، أنت مقيد بمنهج، يجب أن يشيع العدل بين المسلمين، بين الأسر، بين الأولاد، في الميراث، في الوصية، في التوزيع، بين الموظفين، إن لم تكن عادلين لا نستحق أن ينزل علينا نصر الله عز وجل.

قال الحافظ بن عبد البر: (المؤمن وإن أبغض في الله لا يحمله بغضه على ظلم من أبغضه)، سأل أحدهم عمر بن الخطاب عملاق الإسلام، قال: "أتحبني؟ قال: لا والله لا أحبك، قال: هل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي؟ قال: لا والله، قال: إذا إنما يأسف على الحب النساء) . يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء : 135)

تروي القصص أن يهودياً جاء يشتكي على سيدنا عليّ أُمّام عمر بن الخطاب، وكان قاضياً، قال: قم يا أبا الحسن، فوقف بجانب الرجل ليستويا، فلما حكم تغير وجه سيدنا علي، قال عمر: يا أبا الحسن هل وجدت عليّ؟ قال: نعم، قال: ولم، ماذا فعلت؟ قال: لم قلت لي: يا أبا الحسن، ولم تقل لي: يا علي، فضلتني عليه بالكنية.

و- عدل النبي مع من قسى عليه:

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ أَحْرَجْ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي فَاَنْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ قَالَ إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِينَا تَمْرُنَا فَتَقْضِيكَ فَقَالَتْ نَعَمْ يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَقْرَضَتْهُ فَقَضَى الْأَعْرَابِيُّ وَأَطْعَمَهُ فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهِ لَكَ، فَقَالَ أَوْلَيْكَ خِيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لَا قُدْسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُنْتَعَجٍ) [ابن ماجه/2426 ورجال إسناده ثقات]

ز - بين البغض والإنصاف:

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ.. (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمْ اتَّفَقُوا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفَلْتَهُ قَالَ: وَكُنَّا نَحْدِثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَتَلَهُ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لِمَ قَتَلْتَهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فَلَانًا وَفَلَانًا وَسَمَّى لَهُ نَفْرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَتَلْتَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (مسلم :97)

فتأمل كيف أن هذا الرجل قد أثنى في المسلمين الجراح، ولكن لم يحمل بغضه النبي صلى الله عليه وسلم على عدم العدل

معه حتى ولو أتى بحسنة واحدة.

3- الغلو يحرم صاحبه الإنصاف

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اْعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اْعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي اُضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: " دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدَّمُ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ: تَدْيِيهِ، مِثْلُ تَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرُدُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ "

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَنَزَلْتُ فِيهِ: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) [التوبة: 58] (البخاري: 6933)

فانظر إلى غلو هذا الرجل كيف جعله يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم العدل، فكيف بأحفاده من أهل الغلو في الدين وقد رأينا منهم تكفيرهم للمسلمين مما جعلهم يستباحون دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

4- مبادئ تعين على الإنصاف

أ - الانتباه إلى المقاصد : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) (متفق عليه)

فهذا الأعرابي نطق بالكفر، و لكن ما كل من وقع في الكفر وقع عليه الكفر، ليس هذا مقصده، إذا أنت حينما تعيش بين مؤمنين، و حينما ترى خطأ أو كلمة في غير محلها ابحث عن قصد قائلها، لعله ما أراد أن يسيء، اغفر له ذلك، فحينما تكون مع القصد و مع النية قد تسامح من حولك، أما حينما تكون قناصاً تأخذهم بكلمة ما أرادوا معناها، وما أرادوا أبعادها، فأنت لم تنصفهم، لأن نية العمل جزء منه.

ب - التحقق بالتثبت:

شيء آخر، من عوامل الإنصاف أن تكون متحققاً مثبتاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة الحجرات:6)

لأن تخطئ في العفو أفضل ألف مرة من أن تخطئ في الاتهام، هل عندك الأدلة الكافية؟

﴿إِنْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (سورة الحجرات:12)

ليس هناك دليل، كيف تهدر كرامة أخيك؟ كيف تتهمه بسوء الائتمان و ليس عندك دليل؟

قال الحسن البصري: المؤمن وقاف حتى يتبين .

قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة النمل:27)

تحقق، تريث، تأن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (سورة النساء : 94)

توزيع التهم بسرعة و بكثافة و براحة، وأنت المنزّه، وأنت المعصوم، وأنت الفهيم، والناس كلهم حولك يخطئون، هذا خطأ كبير.

ج - حمل الكلام على أحسن الوجوه : ينبغي أن تحمل الكلام على أحسن الوجوه، فأحسن الظن بإخوانك، التمس لهم

الأعذار، احمل كلماتهم على مقاصد شريفة، وقد جاء في بعض أقوال الصحب الكرام: (ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، و لا تظنَّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً)، حاول أن تبحث عن قصد شريف لهذه الكلمة.

د - عدم نشر سيئات الإنسان و تجاهل حسناته :

من التوجيهات النبوية ألا تنشر سيئات إنسان و تتجاهل حسناته، كان عليه الصلاة والسلام يدعو و يقول: (اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من جارِ السوءِ، ومن زوجٍ تشيَّبني قبلَ المشيبِ، ومن ولدٍ يكونُ عليَّ ربًّا، ومن مالٍ يكونُ عليَّ عذاباً، ومن خليلٍ مكرَ عينه تراني، وقلبه يرعاني؛ إن رأى حسنةً دفنها، وإذا رأى سيئةً أذاعها) (أخرجه الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة:3137)